بيروت

اخبارها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني : البحث الثاني عشر

بيروت في القسم الاول من القرن التاسع عشر (١٨٠٤ــ١٨٦٠)

كان الذي يرى بيروت بعد موت الجزّار يكاد يتشاءم بمستقبلها غير انّ الله اذا اراد لبلدٍ خيرًا رفعه من الحضيض الى اوج الرقي والنجاح. وقد صحّ ذلك في عاصمة لبنان فان الذين دخلوها في العشر الاوّل من القرن التاسع عشر يصفونها كبلدة صغيرة تُحدق بها اسوار متداعية تضمّ بضع مئات من المساكن مع قليل من الاسواق الضيقة القذرة لا تُرى في وسطها الاشجار ما خلا جنائن بعض الخاصّة وكانت الحركة التجاريّة قد خمدت لا تكاد سفن الفرنج تقصد مرفأها بعد ان اخرج الجزّار منها عمالهم واتزوى اللبنانيّون في جبلهم خوفاً من بطشه وفتكه. فلم يبقَ في بيروت من النصارى الّا زهاء الف نفس اكثرهم من الروم الاورثذكس ثمّ من الموارنة والروم الكاثوليك

وكان اوّل ما استبشر به اهل بيروت معاهدةٌ تقرّرت بين السلطان سليم خان الثالث وناپوليون الاوّل فُتحت بموجبها أسواق الشام للتجار الفرنسويين فعادوا اليها واخذوا يسعون الى تجديد المعاملات التجاريّة بينها وبين ثغر مرسيلية. وانّما فضّلوا هذه المرّة بيروت على صيداء وطرابلس لحسن موقعها وطيب هوائها وقربها من لبنان ومعاملهِ الحريريّة الكثيرة الاقبال وهي مع ذلك فرضة دمشق ومحطّ قوافل البلاد الداخليّة

ولنا شاهد عياني على احوال بيروت ومعاملاتها منذ اوائل القرن التاسع عشر الى منتصفهِ ألا وهو القنصل الفرنساوي الشهير بكتاباتهِ المتعدّدة عن سوريّة عموماً وعن بيروت خصوصاً نعني بهِ المسيو هنري غويس (H. Guys) الذي استوطن الشام منذ حداثة سنهِ ثمّ تردّد الى بيروت بعد غيبتهِ وتعيّن عليها بصفة قنصل دولتهِ غير مرّة فراقب امورها بكل دقّة وقد قضى أجلهُ نحو السنة ١٨٦٥ . وقد اثبت في كتبهِ ملحوظاتهِ الواسعة عن بيروت وخراجها واخلاق اهلها وترقيها في المعاملات التجاريّة وتقدّمها البطيء في الآداب والعلوم

وقد وقفنا في سياحات بعض الفرنج على احصاء اهل بيروت في السنة ١٨٢٠ فاذا هم يبلغ ٨٫٠٠٠ نفس ثم افادنا عن احصائهم المسيو غويس سنة ١٨٣٨ حيث بلغوا ١٥٫٠٠٠ منهم ٧٫٠٠٠ مسلم والباقون نصارى بينهم الكاثوليك (موارنة وملكيّون وسريان وارمن) ٣٫٥٠٠ والباقون روم ٤٫٠٠٠ ودروز ٨٠٠ ويهود ٢٠٠ وكان عدد الفرنج ٤٠٠

امّا التجارة بعد ما نالها من الكساد في عهد الجزار فانّها عادت الى حسن احوالها في ايام خلفهِ سليمان باشا والي صيداء الذي بعدلهِ وحكمة تدبيرهِ وحسن سياستهِ اصلح الامور وضمّد جراحات البلاد التي كان الجزار نكأها بسوء سيرتهِ وطالت مدته رحمةً للاهلين فبقي في رتبتهِ نحو خمس عشرة سنة . وقد دوّن اعماله الشريفة احد الكتبة في ذلك العهد وهو حنّا افندي الفرّاء ومن تاريخهِ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . ولعلّ هذه الحال كانت زادت رقياً لولا ان عبدالله باشا خلف الخازندار سليمان ضرب على الاهلين الضرائب الفادحة التي اساءت الاحوال بعد صلاحها

وحصلت في السنتين ١٨٢١ و١٨٢٢ من ولاية عبدالله باشا بمزاحمة الامراء الشهابيين للامير بشير مشاغبات ومنافرات دعت الامير الى الفرار من وجه اعدائهِ الى حوران . ثمّ تجدّدت الفتن في عهد درويش باشا بعد عزل عبد الله باشا فهرب الامير بشير الى مصر ولاذ بمحمّد علي فغلبت الفوضى على بلاد الشام ولم تنتهِ حتى عاد عبدالله باشا وردّ الى الجبل الامير بشيراً بكلّ اكرام

وفي السنة ١٨٢٦ انتشبت الحرب بين اليونان والدولة العثمانيّة فارسل الاروام اسطولهم الى بيروت ليستولوا عليها فقصفوا على برجها المعروف بابي هدير ونصبوا

السلاح على سورها فدخلها بعضهم بينما كانت المراكب تطلق مدافعها على المدينة . لكن الاهلين احتشدوا فقاوموهم وبلغ الخبر الامير بشيراً فسيَّر رجالاً لمقاتلتهم . فلما رأى الاروام جموعهم خافوا وركنوا الى الفرار واقلع الاسطول سائراً الى بلاده فاتخذ بعض اصحاب الفتن هذه الفرصة ليثيروا نصارى بيروت باستدعاء الاروام فهاج المسلمون وهرب النصارى الى الجبل وأُلقي بعضهم في السجن ولم تهدأ الامور إلَّا بعد مفاوضات ومصادرات وتغريمات تداخل فيها وزير دمشق عبد الله باشا والامير بشير

وفي السنة ١٨٣١ ارسل عزيز مصر محمَّد عليّ ابنهُ ابراهيم باشا ليفتح سوريَّة ويُدخلها في حكم دولته المصريَّة فكان النجاح حليفهُ وانضمّ الامير بشير بقواه الى المصريّين ليتجو من عَنَت الدولة التركيَّة وظلم عمالها . وبقي المصريون مستولين على بلاد الشام تسع سنين نشروا فيها الامان ونشَّطوا التجارة والصناعة وألَّفوا قلوب النصارى لولا انهم بعد مدَّة هيَّجوا عليهم الرأي العام بما وضعوهُ من الضرائب التي ناءت تحت اثقالها مناكب السوريين عموماً واللبنانيين خصوصاً وحاولوا الزام الاهلين بالخدمة العسكريَّة فقام لمناهضتهم قومٌ من اللبنانيّين بمساعدة الدولة التركيَّة واستفحل الفساد فآلت الامور الى ان اتفقت الدول الاوربيَّة على إبعاد المصريين واعادة بلاد الشام الى المملكة العثمانيَّة . ولمَّا صمَّم المصريُّون على الإباء قدمت مراكب انكليزيَّة يرئسها الكومودور نابيه (C. Nappier) واذ اصرّ محمود بك متسلم بيروت باسم ابراهيم باشا على رفضهِ تسليم المدينة اطلق الانكليز المدافع على أبنيتها وهدموا جانباً منها . ففرَّ سليمان باشا قائد الجنود المصريَّة المرابطة فيها واسلمها الكومودور الانكليزي فأعادها الى الدولة العثمانيَّة . ثمَّ اخذت جنود الاتراك مع اللبنانيين يطاردون عسكر ابراهيم باشا فتعقَّبوهُ الى ان خرج بجيشهِ من سوريَّة الى موطنهِ مصر

وبخذلان المصريين سقطت ايضاً ولاية الامير بشير الكبير الذي اضطرَّ الى تقدمة خضوعهِ واختار لمنفاهُ جزيرة مالطة وذلك سنة ١٨٤١ ثمَّ انتقل منها بعد مدَّة الى الاستانة حيث توفي سنة ١٨٥٠ وقُبر في كنيسة الارمن الكاثوليك (١)

ثمَّ صدر امر الدولة سنة ١٨٤٢ بان يُنقَل من صيداء الى بيروت كرسي الولاية ويرابط فيها الجند وعُهد تدبير امرها الى سليم باشا المعروف بهتهِ واعتداله . فمن

١) اطلب المشرق (٧ [١٩٠١] : ١٠٦٣)

ذاك الحين دخلت بيروت في طور جديد من الحياة. وخراب اسوارها اخذ الناس يشيدون الابنية خارجاً عنها ويحكمون بناءها على طراز لطيف ويجعلون فوقها العلالي ويزرعون بقربها الجنائن والاشجار المثمرة فاتسعت المدينة اولاً من جانبها الشرقي الى جهات نهرها ثمّ شُيدت غيرها من المباني في غربيّها وجنوبها

وراجت تجارة بيروت بعد خروج المصريين بفضل الاجانب الذين استوطنوها وباشروا فيها المعاملات مع الوطنيين وانشأوا فيها المحلّات التجاريّة والشركات الماليّة وازدهرت خصوصاً معامل الحرير. ولنا في احصاءات القنصل هنري غويس دليل باهر على تقدُّم بيروت فانهُ حسب في السنة ١٨٢٧ الواردات الى بيروت من فرنسة بقيمة ١٫٣٥٣٫٧٢٥ فرنكاً والصادرات منها الى فرنسة بقيمة ١٫٢١٤٫٨٣٠ فرنكاً. وفي نهاية السنة ١٨٤٤ بلغت الواردات ٤٫٥٨٨٫٣٢٥ ف والصادرات ٣٫٠٦٧٫٧٥٨ ف وحسب سنة ١٨٤٥ الواردات من مصر الى بيروت بقيمة ٦٫٤٩٠٫٠٠٠ ف والصادرات الى مصر بثمن ٤٫٩٧٩٫٦٠٠ ف يليها الواردات من انكلترة ٥٫٧٣٥٫٨٠٠ ف والصادرات اليها ٥٫٧٦٠٫٩٠٠ ف ثمّ الواردات من تركيّة ٣٫٥٩٨٫٨٥٠ ف والصادرات اليها ٤٫٢٨٣٫٥٣٠ ف ثمّ الواردات من النمسا ٦٧٢٫١٠٠ ف والصادرات اليها ٧٩٫٩٠٠ ف ثمّ الواردات من ايطالية ٤٤٢٫٨٠٠ ف والصادرات اليها ٨٥١٫٦٠٠.

وقد ذكر معظم ما صدر من بيروت فكان للحرير المقام الاوّل بقيمة ١٫٨٦٩٫٥٠٠ ف ثمّ القطن (٤٦٧٫١٢٠ ف) ثمّ السمسم (٢٢٦٫٨٥٠ ف) ثمّ الاسفنج (١٧٢٫٨٠٠ ف) ثم التقود (٨٥٫٠٠٠ ف) ثمّ الصوف (٥٥٫٩١٤ ف) ثمّ العفص (٥٤٫٦٨٤ ف) ثمّ الشمع (٦٫٥٠٠ ف) ولم يتجاوز حينئذٍ ثمن التبغ قيمة (١٫٥٠٠ ف)

فيظهر من هذا ما بلغتهُ بيروت في ذلك العهد من الرقي حتى اصبحت مركز للاعمال التجاريّة لكل سواحل الشام. وكانت الدول على مثال فرنسة اقامت لها قناصل لترويج امور بلادها واولّهم قنصلا انكلترّة والنمسة

الاحوال الدينيّة في هذه الحقبة

وكانت الامور الدينيّة في بيروت تجاري بوُتيرة الاحوال المدنيّة. فكان (الوارنة) ازدادوا فيها عدداً فقصدها كثيرون من اللبنانيين ليتعاطوا فيها التجارة والصناعة او

ليفرّوا مما حصل في لبنان من النازعات والاضطرابات لاسيما بعد نفي الامير بشير الكبير وكان يسوسهم اساقفة افاضل اخذوا يقيمون في بيروت اخصّهم المطران بطرس ابو كرم الذي تعيّن لتدبير ابرشيّتها خلفاً للمطران مخائيل فاضل سنة ١٨١٩ فرعاها بغيرة مدّة ٢٥ سنة وكان يتنقّل في سكناه بين بيروت وقرى ابرشيّته وكانت وفاتهُ في بكنتا وطنهِ في ١٥ ك ٢ سنة ١٨٤٤ . وقام بعدهُ مطرانـاً على بيروت الراهب اللبناني طوبيًا عون فساس رعاياهُ احسن سياسة واحرز لهُ بفضلهِ وجهادهِ ذكرًا طيّباً بين ابناء ملّتهِ واهل وطنهِ وكانت وفاتهُ في سنة ١٨٧١

وتمتع (الروم الكاثوليك) في القسم الاوّل من القرن التاسع عشر بالراحة الدينيّة تحت رعاية ثلثة من ابناء الرهبانيّة الحنّاويّة الكريمة وهم السادة ثاودوسيوس بدوه الحلبي خلف السيّد اغناطيوس صرّوف (١٨١٤ــ١٨٢٢) واغناطيوس دهّان (١٨٢٢ــ١٨٢٤) واغابيوس رياشي بعد فراغ الكرسي مدّةً (١٨٢٨ــ١٨٧٨) وفي عهدهِ بُنيت كنيستهم الكبرى الواسعة الارجاء اللطيفة البناء ذات الايقونستاس البديع على اسم مار الياس النبيّ . ولم يتكدّر صفاء الطائفة بغير ما حصل من الانشقاق بسبب الحساب الجديد سنة ١٨٥٧ فانسلخ بعض الجهّال عن كنيستهم تمسّكاً بحساب قديم ظهر غلطهُ لكل العلماء

أمّا (الروم الاورثذكس) فتسقّف على كنيستهم بعد وفاة مكاريوس صدقة سنة ١٨٠٤ اثناسيوس مخلّع الذي توفي سنة ١٨١٣ ثم بنيامين († ١٨٤٨) ثم ايروثاوس الى السنة ١٨٦٤ فاستقال

الرهبانيّات اللاتينيّة في بيروت

ومما نالتهُ بيروت لنجاحها الديني في النصف الاوّل من القرن التاسع عشر حلول (الرهبانيّات اللاتينيّة) في ربوعها فكان اوّل من عاد اليها بعد انقطاعهم عنها بسبب الحروب وظلم الجزّار (الآباء الفرنسيسيّون) كما سبق . ثمّ (الآباء الكبوشيون) وكلهم من الايطاليين غالباً . وكان للكبوشيّين منزل ضيّق وسط المدينة تحت كنيسة القديس جرجس المارونيّة الحاضرة فلمّا ترأس عليهم الاب زكريّا فانشيولي (Zacharie Fanciulli) اقتنى لهم المحلّ الذي يسكنونهُ اليوم فعمّروا هناك كنيستهم الكبيرة

على اسم القديس لويس ملك فرنسة وهي الكنيسة الراعوية للاتين

وفي العشر الثالث من القرن التاسع عشر سكن (اللازاريون) بيروت وقاموا خصوصاً في خدمة راهبات المحبة اللواتي قدمن اقطارنا مع رئيستهن الطيبة الذكر الاخت جيلاز سنة ١٨٤٧ فاخذن منذ ذاك الحين يتفانين في خدمة الفقراء والمرضى والمبئوسين بما عُرفن به من الهمة والنشاط والتجرُّد التامّ

امّا (اليسوعيون) فكان اوّل حلولهم في بيروت السنة ١٨٣٩ في زمن حكم المصريين على الشام وكان رئيسهم اذ ذاك الاب مكسيميليان ريلو البولوني الاصل وهو المعروف بالاب منصور فانتهز فرصة تسامح المصريين مع النصارى فاقتنى ملكاً واسعاً خارج اسوار المدينة كان مزروعاً بشجر التوت واخذ يُعدّ سكنى لاخوته ببناء دير صغير. فاتت الوقائع السياسيّة في تلك الآونة بين الدول والمصريين فاضطرّتهُ الى تأجيل العمل ولاسيما انّهُ كان قد تعيّن كنائب القاصد الرسولي للسيد ثلاردیل فكانت واجبات مهمّته تدعوهُ الى التداخل في امور النصارى فلم يمكنهُ ان يُخرج نيّتهُ الى حيز الوجود إلّا بعد نزوح المصريين عن الشام. فاستأنف العمل بعزم وفكّر ايضا بمدرسة للصناعة لتهذيب احداث من النصارى. لكنّ الخبر الاعظم استدعاهُ في تلك الاثناء الى رومية ليقيمهُ رئيساً على مدرسة انتشار الايمان (البروبغندا) فخلفهُ الاب مبارك بلانشه في رئاسته وبعد معاكسات شتى وعقبات وجدها في طريقه اتاح لهُ الله ان ينجز العمل ويعمّر الدير في الحيّ المعروف اليوم بالصيفي ويفتح فيه مدرسةً للاحداث فتمّ ذلك في تشرين الثاني من السنة ١٨٤١

وفي اوائل هذا القرن التاسع عشر كان القنّاد الرسوليون يسكنون في لبنان فسكن السيّد لويس غندلفي (١٧٩٦ــ١٨٢٥) بين اخوته اللازاريين في عين طورا ثمّ عشر هناك خلفهُ السيّد لوزانّا (١٨٢٥ــ١٨٣٢) دارًا للقنادة سكنها هو وخدّامهُ. ثمّ اخذوا يتردّدون الى بيروت وفيها استقام وتوفّي السيّد فرنسيس ثيلاردیل (١٨٤١ــ١٨٥٢) وقد بنوا شرقيّ ساحة الشهداء دارًا واسعة سكنوها الى عهد السيّد لودوفيكو بياڤي الذي انتقل الى دار القنادة الحديثة في رأس بيروت وكذلك باع دار القنادة في عين طورا واتّخذ للاصطياف دار حريصا. فكان وجود القنّاد الرسوليين في بيروت منشطاً لكل الاعمال الدينيّة فيها

ومنذ ذاك الحين خصوصاً أنشئت الاجتماعات الدينية كالاخويات والرياضات السنوية في كنائس الرسلين ولا سيما في أيام الصوم الكبير . تخص بالذكر اخوية اعيان بيروت الكاثوليك المنشأة سنة ١٨١٩ في كنيسة الآباء اليسوعيين فبلغت اليوم سنتها السابعة والسبعين . وكان من ثمارها اعمال خيرية مشكورة كمساعدة الفقراء وتهذيب الصغار وزيارة المحبوسين وتعزيز روح العبادة في بعض شهور السنة

الآداب في بيروت

ومما جعل لبيروت ايضاً مقاماً رفيعاً في القسم الاول من القرن التاسع عشر انشاء ﴿المدارس﴾ فيها فكانت اولاً كتاتيب صغيرة تُقرأ فيها مبادئ القراءة والكتابة والحساب يعلم فيها بعض المعلمين البسطاء لكل طائفة مدرسة ثم سعى المرسلون الى فتح مدارس ارقى شأناً وانما لم تبلغ شأوها إلا بعد حوادث السنة الستين . وكان يدرس طلبتها مع العربية احدى اللغتين الايطالية او الافرنسية واصول العلوم

وقدم الى بيروت بعض اعضاء جمعية التوراة (البليشيين) سنة ١٨٢٦ وغايتهم نشر تعاليمهم البروتستانية فتصدى لهم السيد بطرس كرم ونفّد اضاليلهم . لكنهم عززوا قواهم وسكنوا بيروت ونقلوا اليها مطبعتهم في ماظة وكان في مقدمتهم زعيمهم عالي سميث الذي بعد تضلعه من العربية سعى مع رفيقه فان ديك وغيرهما من بعض الوطنيين اخصهم الشيخ ناصيف اليازجي وبطرس البستاني فعربوا التوراة وعنوا بنشرها وتوزيعها بعد ان حذفوا منها الاسفار المدعوة بالاسفار الثانوية كالحكمة وابن سيراخ ونبوة باروخ وطوبيا والمكابيين وحرفوا على مقتضى آرائهم بعض آيات العهدين المقدسين . وكان ذلك سبباً لانشاء الروم الاورثذكس جمعيتهم المدعوة الجمعية المورية الاورثذكسية كانوا يجتمعون قريباً من الكنيسة فيخطبون في مواضيع دينية ويقرأون في كتاب ملاطيوس ضد البروتستانت ثم طبعوا ما املاه من الكتب المقدسة

واجتهد المرسلون الاميركان في فتح المدارس في بيروت وفي انحاء الجبل للذكور والاناث نحو السنة ١٨٣٥ ثم انشأوا في بيروت مدرسة داخلية للذكور سنة ١٨٤٠ كانت غايتها الخاصة نشر مذهبهم والحقوا بها سنة ١٨٤٦ مدرسة مثلها للاناث . وهذا ما دفع راهبات المحبة ان يخصصن للبنات الكاثوليكيات مدارس ابتدائية مجانية

للفقراء ومدارس ثانوية للطبقة الوسطى من الاهلين منذ السنة ١٨٤٧ وقبان ايضاً اوانس داخليات في ديرهن سنة ١٨٤٩

﴿مطابع بيروت الاولى﴾ ومن المعلوم انَّ المطابع من اعظم اسباب الرقي والتفقُّه وقد كان بنها السهم المعلَّى لبيروت في النصف الاوَّل من القرن التاسع عشر كما بيَّنا ذلك في مقالات واسعة أفردناها لتاريخ الطباعة في الشام وفلسطين والعراق(١

كانت (مطبعة القديس جاورجيوس) للروم الاورثذكس اوَّل مطبعة ظهرت في بيروت بهمَّة الشيخ ابي عسكر الجبيلي في اواسط القرن الثامن عشر طُبع فيها حينئذٍ بعض الكتب الدينيَّة والطقسيَّة كالزامير والسواعيَّة والتعليم المسيحي ثمَّ خمدت حركتها فلم يبرز منها للنور شيء يذكر الى السنة ١٨٤٥ فعادت الى نشر الدينيَّات والطقسيَّات بحرفها القديم الى آخر العهد الذي نحن بصدده

واعظم منها في بيروت (المطبعة الاميركية) التي استعارت اوَّلًا أدواتها وحروفها من مطبعة بشة الاميركان في مالطة وادارها عالي سميث فطبع اوَّلًا فصل الخطاب للشيخ ناصيف اليازجي وبعض كراريس دينيَّة. ثمَّ جدَّد ادواتها واستبدل حروفها بما هو أشرق والطف فسبكها في ليبسيك وطُبع عليها ترجمة الكتاب المقدَّس السابق ذكرها (١٨٦٠ــ١٨٦٥) وخلفهُ الدكتور فان ديك فبلَّغها كاملها فنُشرت فيها عدَّة كتب منها مدرسيَّة وعلميَّة وادبيَّة ومنها دينيَّة وجداليَّة بروتستانيَّة بلغ عددها نحو خمسين كتاباً قبل حوادث السنة ١٨٦٠

ثمَّ رأى الكاثوليك حاجتهم الى مطبعة كبيرة تفي بلوازم دينهم وتهذيب اولادهم فتحفَّز للامر المرسلون اليسوعيون فأنشأوا (المطبعة الكاثوليكية) سنة ١٨٤٨ فنُشر فيها اوَّلًا نحو عشرة كتب دينيَّة ومدرسيَّة على الحجر ثمَّ اتَّخذوا لاشغالها الحروف المسبوكة في باريس سنة ١٨٥٣ وبقيت مطبوعاتها محصورة العدد زمناً حتى اتَّسع نطاق اعمالها وزاد الاقبال على منشوراتها وتحسَّنت ادواتها فبلغ ما نشرته من التآليف المختلفة قبل السنة ١٨٦٠ نحو عشرين كتاباً

والمطبعة الرابعة التي ظهرت في هذه الحقبة هي (المطبعة السوريَّة) لصاحبها الشهير المرحوم خليل الخوري الذي عيَّنتهُ الدولة التركيَّة مديراً للمطبوعات فأنشأ

١) اطلب اعداد المشرق في السنتين الثالثة والرابعة للمجلَّة ١٩٠٠ و١٩٠١

مطبعتهُ سنة ١٨٥٧ ونشر اوّل جريدة ظهرت في سوريّة دعاها حديقة الاخبار وفي مطبعتهِ نُشر الدستور العثماني وبعض الكتب القانونيّة والتجاريّة حتى السنة ١٨٦٠

وظهرت ايضاً في اواسط القرن التاسع عشر مطبعة عُرفت اوّلاً بمطبعة ابراهيم افندي (النجّار) الطبيب نشر فيها تاريخهُ للدولة العثمانيّة المعروف بمصباح الساري ونزهة القاري سنة ١٢٧٢ﻫ (١٨٥٥م). وهذه المطبعة ورثها بعد ذلك يوحنّا النجّار اخو ابراهيم فاشتغل بها بعد السنة ١٨٦٠ ودعاها (المطبعة السوريّة)

فهذا مجمل ما ظهر من المطابع في تلك الحقبة فساعدت على ترقية الآداب ونشر التمدُّن العصري واستنهاض همم الكتبة وكانت الدولة التركيّة تُطلق لها الحرّية لا تهتمّ اوّلاً بمراقبتها

وامتازت ايضاً بيروت في اواسط القرن التاسع عشر ﴿بنواديها العلميّة﴾ سبق الى انشاء اوّل نادٍ منها المرسلون الاميركان سنة ١٨٤٧ جمعوا فيهِ بعض أدباء الدينة الساعين بتعزيز العلوم العصريّة في وطنهم كالشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني وميخائيل مدوّر وسليم دي توفل ويوسف كتفاكو مع اساتذة المدرسة الاميركيّة . فكانوا يجتمعون في اوقات معلومة ويلقون بعض المحاضرات الادبية والعلميّة التي نشروا منها جانباً في مجموع لعالي سميث دعاهُ مجموع الفوائد وفي كراريس صغيرة اصدروها سنة ١٨٥٢ ثمّ بطلت جمعيّتهم بعد قليل

وكذلك سعى اليسوعيّون الى انشاء جمعيّة من الكاثوليك سنة ١٨٥٠ دُعيت (الجمعيّة الشرقيّة) امتاز من اعضائها عدّة رجال كابرهم النجار الطبيب وفرنسيس مراش والشاعر الشيخ حسّا ابي صعب والوطني رزق الله خضرا والمؤرخ طنوس الشدياق وحبيب اليازجي

وفي ذاك الزمان اجتهد ايضاً الروم الاورثذكس في تأليف جمعيّة في بيروت لاجل العلوم والفنون ضمّت اليها بعض وجوه ملّتهم كميخائيل شحاده وفضل الله بسترس واسعد سرسق ونعمه بركس طراد والقس جراسيموس الشامي

على انّ حياة هذه الجمعيّات لم تطل مدّتها وكانت الحكومة التركيّة تنظر اليها شزراً وتخاف ان يغلب عليها روح السياسة

فترى انّ بيروت نهضت في اواسط القرن التاسع عشر نهضةً راقية وبرزت

مسرعةً في معارج التقدُّم فهَّدت لسائر انحاء الشام الطريق لمجاراتها في هذه الحلبة الشريفة. ولو اردنا سَرْد ما نُشر وقتئذ من التآليف الادبية والتاريخيَّة والعلميَّة والفنيَّة لاتينا بجدول واسع وما كان ذلك الَّا مقدِّمة لحقبةٍ ثانية كست بيروت حلَّةً من المجد لا تُبارى (١

على ان المدينة لم تسلم من بعض الآفات التي حلَّت بها كنكبة الزلازل في السنة ١٨٢٦ وداء الطاعون والهواء الاصفر غير مرَّةٍ . وتكدَّر اهلها بما حصل من فتن الدروز سنة ١٨٤١ في لبنان وتحامُلهم على النصارى .

(له بقيَّة)

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

الحقبة الثانية (١٩٠٨—١٩١٨)

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ادباء النصارى

توفَّر في هذه الحقبة عدد ادباء النصارى الذين اشتهروا بملازمة الآداب العربيَّة فانتقلوا في اثنائها الى دار البقاء. وها نحن نقدِّم عليهم ذكر احبار الكنائس الشرقيَّة وكهنتها الذين خلَّفوا شيئاً من آثار قريحتهم

---

١) راجع الجزء الاوَّل من كتابنا الآداب العربية في القسم الاول من القرن التاسع عشر (الطبعة الثانية ١٩٣٦)